اخبار وافكار

قصة زقاق الاربعين

كتب رصيفنا الاستاذ المؤرخ الشيخ كامل الغزي من حلب الى رصيفنا الاستاذ المؤرخ السيد عيسى اسكندر المعلوف الرسالة الآتية بشأن زقاق الاربعين جواباً على ما كتبه المعلوف في الجزء الماضي من هذه المجلة وهذا نص الجواب الذي ارسله الينا المعلوف:

« ايها الصديق الفاضل: قرأت في مجلة المجمع العلمي مقالتكم الغراء المحررة بقصة زقاق الاربعين بحلب، وما اثبتموه فيها من المناقضات واقع في محله. غير اني ربما اعذر على اثباتها في تاريخي على الوجه الذي قرأتموه فيه وذلك اني لم اثبتها فيه الا بعد ان رأيت خبرها مستفاضاً على ألسن الناس في حلب خواصهم وعوامهم مسيحيهم ومسلمهم.

سمعتها من رجال مسيحيين ثقات رووها لي بالسند المتصل عن آبائهم وأجدادهم منهم الخواجه انطون الصقال والد صديقنا المحترم ميخائيل افندي الصقال. ومنهم والد المرحوم جرجي افندي الكرتلي وهو ممن يعتمد عليه حتى انه كان يقول لي ان اسرته من جملة تلك الأسر المنتقلة. ومنهم الاديب الكبير المرحوم جبرائيل أفندي الدلال صاحب القصيدة المشهورة وهو خال صديقنا الآخر قسطاكي بك الحمصي وقد رواها لي غير هؤلاء من الشيوخ والكهول المسلمين والنصارى.

ونقل لي احد اصدقائي من المسلمين وهو سعيد اغا بن راغب اغا ان السلطان سليماً نقل في ذلك العصر ايضاً جدّه الاعلى المعروف والمشهور باسم كوجك علي اغا من ديار بكر وهو جد مصطفى نعيما الحلبي صاحب تاريخ الروضتين التركي العبارة وهو النقيل الاول من هذه الأسرة التي هي من جملة الاربعين الأسرة المسلمة التي نقلها السلطان سليم من البلاد المجاورة الى حلب. قال: وكان غرض السلطان من نقل هذه الأسر مسلمها ومسيحيها تكثير عدد اعيان حلب وتقوية تجارتها وذلك ان حلب كانت قليلة التجار مع ما كان عليه موقعها الجغرافي من الاهمية التجارية قال: وكان تجارها القليلون عصبة واحدة يحتكرون البضائع ويتحكمون بالناس ولا يبيعونها الا بالاسعار التي يرغبونها. وان حلب ابتليت من قديم الزمن بفقد الرجال ذوي الوجاهة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والشخصيات البارزة فكان غرض السلطان من نقل تلك الأسر تكثير عدد التجار لتخليص التجارة من تلك العصبة المتحكمة ولايجاد جماعة من الاعيان يمكن للحكومة ان تتفاهم معهم (١) .

نعم ان هذا العصر عصر ريب وشكوك ، وان أعظم قضية واشهر حكاية لو عرضت على محك البحث والانتقاد لظهر فيها فساد وتناقض من بعض الوجوه غير اننا لا يتحتم علينا بعد ان نثق في آخذها ان نعدها مكذوبة مفتراة لا ظل لها من الحقيقة ، والا لفقدت الثقة من جميع ما رواه لنا السلف من الأخبار والآثار .

وعليه فاني لا اجزم بان قصة زقاق الاربعين كلها خرافة مفتراة بل اقول : لابد لهذه الحكاية من اصل اي لابد ان يكون السلطان سليم او السلطان مراد قد نقل بعض الاسر الغريبة الى حلب للاغراض المذكورة ولكنني أرتاب بعدد المنقولين و بان الزقاق مضاف الى عددهم . بل لا اشك ان هذا الزقاق مضاف الى كنيسة كانت فيه مبنية على اسم (الاربعين شهيداً) ثم خربت الكنيسة واستمر الناس يضيفون الزقاق الى الاربعين وتوهموا ان المراد من هذه اللفظة اربعون أسرة .

و يوجد في حلب عدة مقامات يعرف كل واحد منها (بمقام الاربعين) منها (مقام الاربعين) في محلة العقبة (٢) ومنها (مقام الاربعين) في محلة شاهين بك ومنها (مقام الاربعين) في محلة داخل باب المقام . ومنها في كنيسة الارمن القديمة .

وقد اختلف المسلمون والنصارى في هؤلاء (الاربعين رجلاً) فالنصارى يقولون : انهم (الاربعون شهيداً) والمسلمون يقولون : انهم (اربعون رجلاً) من الأبدال المتدركين بالكون « على ما ذكره الشيخ عبد العزيز الخواص في كتابه الابريز » .

اما نحن فاننا نتبرأ من جميعهم ونعتبرهم كعنقاء مغرب لا وجود لهم الا في

(١) ورأيت في بعض هوامش المخطوطات ان جلب المسلمين والنصارى الى حلب وغيرها كان برضى السلطان سليم وامره ليكثر عددهم بين الشيعيين الذين كانوا يناوئونه العداء بعد محاربته العجم ووقوفهم في طريق قوافله من الاستانة مادعا الى الفتح . (المعلوف)

(٢) راجع الجزء الثاني من تاريخي (نهر الذهب) الصفحات ٩٠ و٣٦٨ و٣٨٨ و٤٧٣ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مخيلات فاسدة وأفكار سخيفة . ودليلكم الذي أوردتموه على كون حكاية زقاق الاربعين خرافية هو معقول من جهة . اما وقد ثبت لدينا ان المنتقلين كانوا من البلاد المجاورة لحلب اي من بلاد عثمانية فاني أراه غير وارد لان المنتقلين عثمانية ايضاً وقد كانوا قبل نقلهم ينازعون الامة الاسلامية أسباب البقاء وهم في بلادهم ايضاً .

واما اختلاف الرواية عن الناقل بين ان يكون السلطان مراداً وبين ان يكون السلطان سليماً فهو لا يستلزم نكران الحادثة بتمامها . ويمكن ان يقال : ان اهل ذلك الزمان كانوا — وعلى الاخص المسيحيين منهم — لا يعرفون اسماء السلاطين لبعدهم عن مراكز الحكومة فخلطوا بين السلطانين . اما خلو حلب عن النصارى فهو بلاشك باطل لا أصل له . فان حلب لم تخل منهم قط . وانما يمكننا ان نقول انهم قلّ عددهم فيها كما قلّ عدد المسلمين بسبب حوادث الصليبيين ولاسيما حينما دهمتها جيوش التتر الاولى والثانية . فراجعوا ما كتبناه في حمامات حلب في ايام ابن العديم الصفحة الـ (٣٢٩) من الجزء الاول يظهر لكم ان سكان حلب بعد هذه الحادثة لم يبق منهم غير سبعهم او اقل . فلو فرضنا ان النصارى كان عددهم في حلب مائة الف فانهم لم يبق منهم سوى سبعة آلاف . هذا ولا سواه .. » .

حلب : كامل الغزي